Enlightenment collection's
ISSN 2716-7852 / EISSN 2830-8719
V:14, N:2 – 2024, P.P :79-97

سلسلة الأنوار
ر د م ك: *2716-7852 / ر ت م د إ: 2830-8719*
المجلد 14، العدد 2- 2024 ، ص.ص: 79-97

عارض[1] الفهم ومهمة الهرمنيوطيقا عند غادامير من خلال كتابه "الحقيقة والمنهج"

The event of understanding and the hermeneutic task according to Hans–Georg Gadamer in Truth and Method

Mathieu Scraire, université de Montréal

ترجمة أ.د.عيساني امحمد

جامعة أحمد بن يحي الونشريسي تيسمسيلت/الجزائر (aabdou1965.ma@gmail.com)

تاريخ الاستلام : 2023/10/29 ؛ تاريخ القبول : 2024/04/27 ؛ تاريخ النشر : 2024/05/20

الملخص

إن الهدف الأساس من مشروع **غادامير** Gadamer الفلسفي من خلال كتابه الحقيقة والمنهج (1960)، هو المطالبة بتأسيس تجربة حقيقية لعلوم الروح، والتي لا تكون متوقفة على مفهوم موضوعية المنهج، مثل ما أراد ذلك أصحاب المبادرات السابقة لتدارك قانون الحكم المؤقت لعلوم الروح، إما بتبني منهجيات العلوم الدقيقة (**أوغيست كونت** Auguste comte، والفلسفة الوضعية بصفة عامة، **ستوارت ميل** J. S. Mill، حلقة فيينا cercle de Vienne، **وكارل بوبر** K. Popper)، وإما أن نحدد منهجية خاصة بعلوم الروح (أطروحة المنهجية الخاصة، **دراوسن** Droysen، **ديلتاي** Dilthey، **فايبر** weber). سنرى على أنها هدف متلازم مع المؤلف، وهو معارضة الاحتكار الذي تمارسه ما يسمى العلوم الدقيقة على الحقيقة.

وفي هذا السياق، وما يهمنا في هذه الصفحات، هو سؤال **غادامير** المتوقف على معالجة " كيفية، التحرر من العوائق الأنطولوجية (الوجودية) Ontologiques لمفهوم الموضوعية الخاص بالعلم، حينها تستطيع الهرمنيوطيقا إنصاف تاريخية الفهم"[2]. هذا السؤال يفترض مهمتين:

أ)- تجاوز مفهوم الموضوعية داخل علوم الروح.

ب)- إبراز خبرة للحقيقة التي تُدمِج بشدة تاريخية الفهم ذاته.

الكلمات المفتاحية: غادامير، الهرمنيوطيقا، الوجودية، الحقيقة

Abstract

Hans-Georg Gadamer's project, with Truth and Method (1960), is to claim for the spiritual sciences (Geisteswi-ssenschaften) an experience of truth which is not dependent on the concept of objectivity of the method, as the various attempts to remedy the status considered "precarious" of the sciences of the mind, either by adopting the methods of the exact sciences (Auguste Comte and positivism in general, J. S. Mill, the Vienna Circle, K. Popper ...), or by defining a methodology specific to the sciences of the mind (thesis of specific methodology: Droysen, Dilthey, Weber, etc.); We will therefore see as a correlative objective of the author that of contesting the monopoly that the so-called "exact" sciences exercise on the truth. In this context, Gadamer's question which will occupy us in these pages consists of examining "how, once freed from the ontological constraints of the concept of objectivity specific to science, hermeneutics could do justice to the historicity of understanding1" . This question imposes a double task: 1) the overcoming of the concept of objectivity in the sciences of the mind and 2) the emergence of an experience of truth which rigorously integrates the very historicity of understanding.

Keywords: Gadamer, hermeneutics, Ontology, Truth and method,

[1])- فضلنا استعمال كلمة "**عارض**" بدلا من كلمة "**حدث**"، عند ترجمتنا لكلمة (évènement)، وذلك اعتقادا منا أن الأولى تدل على أن الفهم يكون دائما عارضا (غير مستقر) وبصفته فعلا إنسانيا محضا، فهو ما يطرأ على الانسان من تغير من ذاته لا من الخارج. (راجع معجم المعاني الجامع، " اسم العارض الذاتي")، المترجم.

[2])- Hans-Georg Gadamer, Vérité et méthode, Paris, Seuil, 1996 [1960], p. 286.

والمنهج، الفهم. understanding.

1-مقدمة

إن الهدف الأساس من مشروع **غادامير** Gadamer الفلسفي من خلال كتابه الحقيقة والمنهج (1960)، هو المطالبة بتأسيس تجربة حقيقية لعلوم الروح، والتي لا تكون متوقفة على مفهوم موضوعية المنهج، مثل ما أراد ذلك أصحاب المبادرات السابقة لتدارك قانون الحكم المؤقت لعلوم الروح، إما بتبني منهجيات العلوم الدقيقة (**أوغيست كونت** Auguste comte، والفلسفة الوضعية بصفة عامة، **ستوارت ميل** J. S. Mill، حلقة فيينا cercle de Vienne، **وكارل بوبر** K. Popper)، وإما أن نحدد منهجية خاصة بعلوم الروح (أطروحة المنهجية الخاصة، **دراوسن** Droysen، **ديلتاي** Dilthey، **فايبر** weber). سنرى على أنها هدف متلازم مع المؤلف، وهو معارضة الاحتكار الذي تمارسه ما يسمى العلوم الدقيقة على الحقيقة.

وفي هذا السياق، وما يهمنا في هذه الصفحات، هو سؤال **غادامير** المتوقف على معالجة " كيفية، التحرر من العوائق الأنطولوجية (الوجودية) Ontologiques لمفهوم الموضوعية الخاص بالعلم، حينها تستطيع الهرمنيوطيقا إنصاف تاريخية الفهم"[3]. هذا السؤال يفترض مهمتين:

أ)- تجاوز مفهوم الموضوعية داخل علوم الروح.

ب)- إبراز خبرة للحقيقة التي تُدمِج بشدة تاريخية الفهم ذاته.

هذا ما سنقوم بتوضيحه. " فالدائرة التأويلية التي هي دائرة غنية في المحتوى الذي يجمع المفسر ونصه في وحدة داخلية متكاملة في الحركة. فالفهم دائما يشرك ما قبل-الفهم الذي بدوره يُرمَز إليه من قبل تقليد محدد، والذي يحياه المفسر ويتمثل أحكامه المسبقة"[4].

3)- Hans-Georg Gadamer, Vérité et méthode, Paris, Seuil, 1996 [1960], p. 286.

4)- Wilhem Dilthey, Le problème de la conscience historique, Paris, Seuil, 1996, p. 18.

اختيار هذه الصيغة لبدء دراستنا، تم تحديده من خلال حقيقة أن مقدمة هذه المجموعة، كتبت للطبعة الإنجليزية عام 1975، وكان **لغادامير** مناسبة العودة إلى المحاضرات المتضمنة فيه، والتي تم تقديمها قبل نشر كتاب الحقيقة والمنهج، هذه المحاضرات التي يبدو لنا أنها تلخص مشروع العمل بشكل جيد.

ولهذا، سنشرع في تتبع عرض من كتاب "الحقيقة والمنهج" والمعنون بـ" رفع تاريخية الفهم إلى منزلة مبدأ تأويلي". تحليلنا إذن، يحيل بالتناوب على: الدائرة التأويلية، وإعادة تأهيل الأحكام المسبقة، ودلالة الهرمنيوطيقا للمسافة الزمنية، ومن ثمة تأثير مبدأ عمل التاريخ.

هذين الموضوعين الأخرين سيدمجان داخل جهد [فكري] يبين أن الهرمنيوطيقا ترغب في أن تكون في الآن نفسه "عارض " (ماذا يعرض، عندما يُفهم شيء ما) "ومهمة" (الطريقة، وكيفية الفهم الصحيح).

في الواقع، إن أصالة فلسفة **غادامير** تطمح إلى تكملة وتصحيح التمييز القديم للهرمنيوطيقا كمنهج صحيح لتفسير النصوص، (خاصة الفلسفية، القانونية، أو الدينية) موضحين ما يحدث داخل عارض الفهم نفسه، الذي هو دائما تفسير.

1)- الدائرة التأويلية:

إذا لا تعتقد، لا تفهم.

القديس أوغيستين Saint Augustin

أ- الدائرة [التأويلية] كبنية سابقة عن الفهم: هايدغر

لقد كان **هايدغر** أول من بحث العلاقة بين الفهم والتفسير من خلال زمانية الدزاين[5] Dasien. والدافع الأساسي لميتافيزيقاه **(هايدغر)** حول المحدود، كان ما قدمه له **كانط** Kant، خاصة، لأنها تبين الدزاين من الزاوية الوجودية (الأنطولوجية) للقلق.

إذن، الدزاين الذي يعيش في وسط التفسيرات، ويفسر نفسه دون توقف بغرض اكتشاف وجوده الأصلي، قد سمح **لغادامير** أن يرفع زمنية الدزاين إلى مصف الأساس التأويلي.

في بداية التأويل **لهايدغر**[6] يوجد أساس الدائرة [التأويلية] للكل والأجزاء، التي صاغها **شلايرماخر** Schleiermacher والتأويلية الرومنسية، ولكنها تغوص بجذورها في الخطابة القديمة.

[5]-الإنسان، بقدر ما يتساءل عن معنى وجوده، أي بقدر ما يفسر نفسه (بطريقة وجودية) ويكون كذلك عرضة للتفسير الفلسفي (الوجودي)، وهو موضوع "التحليل التحضيري الأساسي لـ الدزاين " في كتاب "الوجود والزمن". نترك، مع E. Martineau إ.مارتينو، المصطلح الألماني" الدزاين " حتى لا نفرض تفسيرًا شديد التقييد لهذا المفهوم الهايدغري الرئيسي.

[6]-الذي يهدف "فقط" إلى التفسير الوجودي للدازين ، والذي سيطبقه غادامير في سياق التأويل الفلسفي الشامل.

وفقا لهذا المبدأ، يجب على التفسير أن "يفهم كل الفعل في أجزائه، ومن جديد، في كل جزء من أجزاء المحتوى كما يتحرك، والشكل الذي يتحرك به المحتوى كطبيعة"[7]. غير أن هذه الدائرة، المتصفة بالفراغ "vicieux" من منظور منطقي، لا يتم التغاضي عنها إلا بقدر ما سيتم تجاوزها لإفساح المجال للفهم الكامل للشيء:" ذلك لأنه عندما اخترقت كل التفاصيل، لم يبق شيء آخر لفهمه"[8].

زيادة على ذلك، الهدف من التفسير المثالي، أكثر من الشيء، هو بنية فكر المؤلف نفسه، حسب مبدأ عقل المؤلف (mens auctoris):" إن أعظم مزية للتفسير، يتمثل في فهم المؤلف بشكل أفضل مما يفهم نفسه"[9].

تتمثل أصالة **هايدغر** في إظهار أن الدائرة [الهرمنيوطيقية] ترفض إلى حد كبير هذا الهدف النفساني بدلا من التمييز السلبي المرتبط بها، وتكشف نفسها بدلا من ذلك على أنها احتمال إيجابي للفهم، لأنه متجذر داخل البنية الوجودية نفسها للدزاين. حجته في ذلك تنبع من التمييز، الموجود عند **القديس أوغيستين** Saint Augustin[10] بين الفهم والتفسير، وعلى البنية الأولية التي يكتشفها في الفهم: " كل تفسير من شأنه أن يساهم في الفهم، يجب عليه أن يفهم بالفعل ما يمكن شرحه"[11]. إنه سوء فهم عميق لما يتجلى ظاهريا كدائرة في الفهم والتي ستكون أساسا لفهم موضوعي، وتطهيرها من أي قصدية مسبقة للحقيقة في علوم الروح.

في تحليل **هايدغر**، التفسير، مفهوم بالمعنى التقليدي منهجيا وتقنيا للفهم، لم يعد شرطا محتملا، للحديث بالمفهوم **الكانطي**، عن الفهم الصحيح، بل يعتمد، إلى حد ما، على نوع من الفهم المسبق،

---

7)- F. D. E. Schleiermacher, Herméneutique, trad. C. Berner, Paris, Cerf, 1987, p. 148.
كانت هذه الصيغة موجودة بالفعل كمنشأ في فلسفة أفلاطون (والتي ترجمها شلايرماخر إلى الألمانية)، على الأقل فيما يتعلق بتنظيم الخطاب، وهي تعتمد عليه في كل الأحوال: " كل خطاب يجب تنظيمه على طريقة الكائن الحي؛ أي أن يكون له جسد خاص به، بحيث لا يكون بلا رأس أو بلا أرجل؛ ولكن أن يكون له وسط وأطراف، كل هذا له، في الكتابة، ملاءمة متبادلة وملاءمة مع الكل.
- Platon, «Phèdre ou De la Beauté», Œuvres complètes, tome II, trad. L. Robin, Paris, Gallimard, coll. La Pléiade, 1950, 264 c.

8)- Schleiermacher, Op. cit., p. 148.

9)- Ibid., p. 148.

10)- Cf.. Augustin, «La doctrine chrétienne», Œuvres de saint Augustin, v. 11.2, Paris, Institut d'Études augustiniennes, 1997, livre III, I, 1, p. 235.

11)- Martin Heidegger, Être et temps, trad. E. Martineau, Paris, Authentica, 1985, p. 133.

لما يجب توضيحه: لدينا دائما فكرة عن الشيء الذي سيقدم لنا، ونتيجة لذلك، نسبق دائما المعنى العام الذي من المرجح أن يُظهر التفسير الدقيق.

هذا يشكل حسبه **[هايدغر]**، الوصف الصحيح للدائرة ويعطيها بعدا إيجابيا: لا تعتبر الدائرة [الهرمنيوطيقية] كمنهج ناقص، يمكن تحمله لعدم وجود بديل، ولكن كمعطى أساسي لفهم الوجود.

مهمة الهرمنيوطيقا، إذن، بدلا من الخروج من الدائرة، سيكون الانخراط فيها بشكل مناسب، أي، أنها "تضمن دائما موضوعها العلمي من خلال الشيء نفسه"[12].

ب- بولتمان ومفهوم الفهم المسبق:

من خلال الاعتماد على هذه الاعتبارات، وبشكل عام التحليل الوجودي للدزاين من قبل **هايدغر**، فإن **بولتمان** Bultmann ينحت مفهوم الفهم المسبق. هذا المفهوم يعني أن الفهم سيأخذ اتجاهه من خلال وضعية وجودية مسبقة ترسم الإطار والطموح الشرعي لكل محاولة تفسير"[13]. ومع ذلك، فإن هذا الوضع الوجودي يفترض وجود مجتمع معين من حياة المترجم مع الأشياء، بوساطة النص، والتي يكون السؤال عنها في هذا النص. (على افتراض أننا نتعامل مع النص، لأن ما يهم بولتمان هنا، هو التفسير).

إنه في هذا الوضع، يمكن له إثبات " فهم معين للأشياء مرتكزا على العلاقة الحيوية معها، إنها إذن دائما مفترضة من قبل التفسير، ولهذا السبب لا يوجد تفسير من غير افتراضات. هذا الفهم اسميه الفهم المسبق"[14].

وإذا استعملنا هنا **بولتمان**، ولو أن **غادامير** لا يقوم بأي تنويه في هذا المقطع من الحقيقة والمنهج، وأن الحق يقال، إن مفهوم الافتراض المسبق مدرج ضمنيا داخل هذه الصياغة، أي في أصل البداية بين الفيلسوف والاهوتي[15]، نعتقد أن مفهوم الفهم المسبق ينجح في عرض، بشكل فعال وبصورة شاملة، البنية التوقعية "اعتمادا على ما لدينا، وما نراه، وما نأخذه (Vorhab,

12)- Martin Heidegger, Être et temps, Op. cit. P. 133.

13)- Jean Grondin, L'universalité de l'herméneutique, Paris, PUF, 1993, p. 132.

14)- Rudolph Bultmann, «Une exégèse sans présupposition est-elle possible?», Foi et compréhension, tome 1, trad. A et S. Pfrimmer, Paris, Seuil, 1969, p. 172.

15)- Cf. Gadamer, Vérité et méthode, p. 352

Vorsicht, und Vorgriff)[16]، تحسبا للفهم، كما تم تفسيره من قبل **هايدغر** وتطبيقه على التأويل من قبل **غادامير** الذي يريده كونيا[17].

ج- ما قبل المنطوق[18]:

لقد بيَّن **هايدغر**[19] الحالة المنحدرة من المنطوق بالنسبة للُّغةِ بصفة عامة، وكذا البنية السابقة عن الفهم القائمة على العلاقة بين الوجود الظاهر للكائن والوجود المتكشف للدزاين. فالمنطوق ليس هو مكان الحقيقة، ولكن بالأحرى الحقيقة هي مكان المنطوق، هذا يعني أن الدزاين هو الأول وباستمرار قريبا من الأشياء التي تربطه علاقة معها في عملية الفهم، وأن هذه الأخيرة تتحرك دائما داخل اللُّعبة بين " القبل" و" البعد": "البعد، الذي قبل الفهم يشكل "المرج"، وبالتالي يكون المنطوق، وإلا اللغة باختصار [20]. " فلمعرفة شيء عن شيء ما "، يعني بطريقة أو بأخرى بعض المعرفة "العملية"، الممارسة (Praxis)، المهارة تسبق وجوديا المعرفة الصحيحة، وهذا يأتي من أن الدزاين ليس غريبا تماما عن الأشياء التي تم إلقاؤه بالقرب منها، والتي سيتعين عليه أن يشق طريقه نحوها كهدف تجاه شيء سيغلق أمامه أولا، وأنه سيتعين عليه بعد ذلك أن ينتصر كما لو كان يلتمس طريقه؛ إنه يفهم الأشياء ويفهم نفسه أيضا من خلالها.

فالدزاين هو أولا في العالم تحت طائلة الاهتمام؛ يُفَسَّر ويُفسِّر نفسه باستمرار، بهدف الموافقة دائما على تفسيره للشيء، أي أن الحقيقة حول الأشياء التي لديه فكرة عنها. فمهمة التأويل، يعني التفسير، فهي لا شيء آخر غير الشرح لما هو بذلك مقدما ومفهوما مسبقا، أي توضيح التوقعات التي تحكم الفهم، (مكتسبة مسبقا، المستهدفة مسبقا وما قبل الفهم)

د- توقع التماسك (الترابط) المثالي:

وهكذا يظهر شعور معين بالمجموعة داخل الفهم: فالخطاب حول الوجود يتمسك بنفسه داخل الوجود، ولأنه يحيل على الأشياء نفسها، التي يمكن له تقاسمها. فلا يمكن حل مشكلة الفهم داخل

16)- Ibid., p. 290.

17)-لهذا الغرض، راجع صيغة غادامير التي أدخلناها في مقدمتنا، والتي نجد فيها بالضبط مفهوم الفهم المسبق.

18)-الصيغة لجون غرادان:" إن التأويل الهايدغري للواقعية هو أساسًا تأويل لكل شيء يعمل في بداية المنطوق" المرجع نفسه، ص 132.

19)- Cf. Heidegger, Op. cit., par. 33 et 44 notamment.

20)- Grondin, Op. cit., p. 132.

المقصد السيكولوجي **لشلايرماخر**، ولكن داخل المعنى المحجوز الذي تم نقله؛ وعليه فإن تأويلية **غادامير** تنظر إلى " معجزة الفهم وليس التواصل الغامض للأرواح"[21].

ومع ذلك، ثمة وحدة حياة (مجتمع معين) مع ما هو دخيل، والذي هو نفسه موجود في كل ما سيتم فهمه بشكل أصلي: "هناك وعي مشكل من وضع تأويلي أصيل، ستكون له قابلية مسبقة للأصول والطباع الأجنبية تماما بما يأتيه من الخارج.

غير أن، هذه القابلية لا يمكن الحصول عليها بحيادية ذات نزعة موضوعية: فهي ليست ممكنة، ومهمة، ومأمولة للمرء أن يضع نفسه بين قوسين[22]. في الواقع، أن التعيين المسبق للمعنى هو ما يُحدّد أصلا عملية الفهم؛ بعيدا عن أن يكون منهجا دائريا يتم من خلاله نهائيا تحقيق عملية الفهم وما يقصده المؤلف، التوقع، تعيين المعنى هو بالفعل جزء من عملية الفهم، والدليل نحو إنجازه الحقيقي. وهذا ما يسميه **غادامير** التوقع المثالي أو توقع التماسك المثالي: " لا شيء حقيقة مفهوم، إذا لم يقدم في شكل دلالة متماسكة "[23]. إذا ما كانت ذروة الفهم بالنسبة **لشلايرماخر** هي فعل تكهني محض ومثالي بالنسبة **لغادامير**، الشيء المفهوم، النص، هو دائما عرضة لزيادة غير محددة في المعنى لاكتمال تجانسه. غير أن، التوقع يقاس دائما بالشيء، وبالنتيجة، هو عرضة للتعديل أو التصحيح في اتصاله: " ليس فقط وحده للمعنى الجوهري الذي تفرضه العملية الملموسة للفهم: فأي فهم للنص يفترض مسبقا أنه موجه بتوقعات متعالية، الذي يُبحثُ عن أصله داخل العلاقة بين قصدية النص والحقيقة"[24].

فالدائرة [التأويلية] ليست إذن، قطعية بحتة، إنها التعبير عن بنية متطلبات الفهم نفسها، كما لاحظنا، والتي تهدف بالفعل إلى حقيقة الأشياء التي يتوجب تفسيرها.

"توقع التماسك المثالي يفترض إذن، ليس فقط أن النص هو التعبير المناسب للفكر، بل كذلك أنه ينقل إلينا الحقيقة نفسها. وهذا ما يؤكد أن الدلالة الأصلية لفكرة الفهم، هو أن نعرف شيئا ما، وما هو إلا معنى مشتق، هذا الفهم يتقلص ليمسك بالهدف من ناحية أخرى

21)- Gadamer, Le problème de la conscience historique, p. 75.
22)- Gadamer, Le problème de la conscience historique, p. 81.
23)- Ibid. p. 84.
24)- Ibid. p. 84.

كرأي شخصي. وهكذا نعود إلى الحالة الأصلية لكل تأويل: يجب أن يكون مرجعا مشتركا وشاملا للأشياء نفسها. هذا هو الشرط الذي يحدد إمكانية وجود دلالة وحدوية مقصودة، وبالتالي كذلك أن احتمال توقع التماسك المثالي قابل للتطبيق الفعلي"[25].

2)- الأحكام المسبقة، شرط لعملية الفهم:

أ- عامل التقليد[26]:

أن تفهم، يعني أولا الاقرار بالاتفاق حول شيء ما، فالافتراض المسبق للمعنى موجود على مستوى كل فهم، حيث يتم اللجوء إلى جهاز نقدي حينما يختل المعنى، من أجل استعادة المعنى المفقود. هذا الاتفاق حول الشيء، هو المشاركة في ادراج معنى موحد في جميع التوقعات الأساسية المشتركة، وهو ما يسمى "بعامل التقليد "، أو الانتماء إلى التقليد في عملية الفهم.

إن التوتر بين الطابع المألوف والأجنبي للأشياء يدعم المعنى والبنية التاريخية التأويلية، والتي هي الطريقة الصحيحة لتمييز الدائرة [التأويلية].

فمهمة التفسير هي بالنتيجة الانتباه لهذه الظاهرة الدائمة الحضور للفهم المسبق بكل وعي وليس لتفاديه، فمشكلة البحث التاريخي، تطرح فقط عندما نفهم أسبقية المعنى كفعل ذاتي داخل عملية بحث تسمى موضوعية، مثل ما هو في التأويلية الرومنسية مثلا، وأن هذه الظاهرة تشكل عائقا للبحث التاريخي.

فتحريم [بمفهوم الكنيسة] البنية الدائرية للفهم، يعني مجموعة توقعات المعنى كأحكام مسبقة، والتي يجب التخلص منها، هي في حد ذاتها تحيز، التحيز ضد الأحكام المسبقة، والذي يزيل كل سلطة عن التقليد.

---

[25])- Gadamer, Le problème de la conscience historique, p. 84.

[26])- يقصد بكلمة " tradition " في هذا النص "التقليد" وليس كما ورد في كتاب " الحقيقة والمنهج " بـ"التراث" النسخة المترجمة من قبل حسن ناظم وعلي حاكم صالح المترجمة عن النسخة الإنجليزية، دار أويا للطباعة والنشر والتوزيع والتنمية الثقافية، طرابلس، ليبيا/ الطبعة الأولى، 2007. أما نحن فاستعملنا النص الفرنسي المترجم عن الألمانية. (المترجم)

الفهم المسبق لا يعني أن يكون سجينا لأحكامه المسبقة، ولكن إمكانية الفهم نفسها: " في الحقيقة، تاريخية وجودنا تشير إلى أن الأحكام المسبقة تشكل بالمعنى الاشتقاقي للمفهوم، المبادئ التوجيهية الأولية والمؤقتة التي تجعل كل تجربتنا ممكنة"[27].

ب- الأحكام المسبقة والتنوير:

"الحكم المسبق ضد الأحكام المسبقة"، والذي يعني التوصيف السلبي الموحد للأحكام المسبقة، ينبع من عصر الأنوار (التنوير L'Aufklarung في ألمانيا) الذي يمكن لنا تتبع أصله إلى غاية الشك المنهجي **الديكارتي** الذي أُسِّس كمعيار موحد لحقيقة الأفكار، (واضحة ومميزة)، وأراد أن يجد داخل الوعي الذاتي أساسا لا يتزعزع[28].

كلُّ ادعاءٍ لامتلاك الحقيقة خاضع للعقل كمحكمة سيدة. فالحكم يكتسب شرعيته عندما يستند إلى العقل، أي عندما يكون نتيجة منهجية مناسبة، ولمجرد حقيقة التطبيق الصارم لها، لا يترك أبدا مكانا للشك، وذلك بوضع أنفسنا أمام الوضوح نفسه. ومن هنا، جاء الافتقار إلى المصداقية عن الأحكام المسبقة.

غير أنه، إذا أردنا إنصاف البنية الدائرية للفهم التي تم استلابها باعتبارها وجوداً أساسياً للوجود التاريخي المحدود، فمن الضروري إعادة الاعتبار للحكم المسبق التي تفرض نفسها، ولكن على أي أساسٍ نعتمد شرعية الأحكام المسبقة؟

حكم مسبق، يعني في الأصل، "حكم صادر قبل الفحص النهائي لكل العناصر المحددة من حيث المضمون"[29]. فالتحول في المعنى الذي تسبب فيه التنوير للمفهوم، هو الذي ارتبط بمفهوم التحيز، الذي لا يرجع على الاطلاق إلى جوهره، بل إلى نتائجه الممكنة: الحكم المسبق له صبغة

---

[27])- Gadamer, «Le problème de l'herméneutique», L'art de comprendre. Herméneutique et tradition philosophique, Paris, Aubier, 1982, p. 33.

[28])- لقد أظهر هايدغر كيف أن الدزاين، الذي يفشل في الأساس، غالبًا ما يكون منغلقًا على نفسه، ويجب عليه التغلب على وجوده بتكلفة باهظة من خلال انحطاطه في التماثل مع الواحد. ما هو أقرب وجوديًا للدزاين، "الذات"، هو أولاً وقبل كل شيء بعيدًا عنه وجوديا، أي حتى يكتشف الدزاين دستوره كمشروع، وخصص حريته واختياره صراحةً في القرار. وبالتالي، فإن "أعتقد" سيشكل أساسًا ضعيفًا للغاية للوصول إلى تفسير "أنا"، أي معنى الوجود، وهو موضوع التفسير الهايدغري في "الكينونة والزمن".

[29])- Gadamer, Vérité et méthode, p. 291.

مؤقتة، فهو يطلب بأن تعاد مراجعته، كذلك، نتكلم عن الحق في التخمين البريء، إلى غاية الحكم النهائي، الذي يستطيع أن يقرر عكس ذلك.

لقد كان من البديهي أن للحكم المسبق فضل السلطة، فهو ليس دائما خال من الحقيقة، هذا الذي لم يعترف به **ديكارت**، والذي أكده في دلالته السلبية من خلال تأكيد طبيعته الدائمة[30].

"السلطة" و"العقل" من الآن فصاعدا هما مصطلحان متعارضان. غير أن **غادامير** ينكر هذا التعارض المطلق، من جهة، لأن الأحكام المسبقة التي تُستمد من السلطة تستطيع على الأقل أن تكون كذلك مصدر للحقيقة، ولكن أيضا لأن هذه الأحكام المسبقة يمكن لها كذلك أن تكون، وبدون حقيقة، مضمونة من قبل العقل: الخضوع للسلطة لا يعني التخلي عن العقل، ولكن اعتراف على أن الآخر باستطاعته أن يقدم حكما مضمونا لا أستطيع القيام به في هذا أو ذاك الميدان. إنه فعل حرية الاستسلام للسلطة الشرعية: فالامتثال لقانون المرور المفروضة عليا، مثلا، يمنحني حرية التنقل مع التقليل من مخاطر الحوادث (مفترضين امتثال الكل كذلك)؛ كذلك صياغة القوانين والترتيب للعيش معا بصفة عامة من قبل سلطة تُعَدُّ مختصة ومفوضة لهذه المهمة هي أيضا مصدر للحرية: لكل واحد مهمته، حسب قدراته، ولكن وضعية السلطة تمنح كذلك سلطة معينة للأفراد، سلطة قادرة على تقييد حريتهم إلى حد ما، ومطالبتهم بالطاعة.

غير أن الطاعة ما هي إلا طابع ثانوي، نتيجة السلطة المكتسبة بالضرورة، والتي هي مفيدة لمصلحة المجموعة، ولذلك فإن الأساس النهائي للسلطة هو بالنتيجة نشاط عقلي.

في النهاية فإن الحكم المسبق للسلطة لا يحمل (بصفة عامة) ضررا إلا للعقل الذي يتخلى (*abdique*) عن مسؤولياته الخاصة، حتى يتعافى تماما وبطريقة متسرعة للسلطة. وإنه ضد هذه الظاهرة يسمو الوعظ **الكانطي**، "لتكن لديك الشجاعة في استعمال فهمك الخاص"[31]. هذا يعني، وبالعكس، أن العقل ليس سيد نفسه، وذلك إذا كانت الحرية مصدر السلطة، فهذه الحرية محدودة

[30])- يقول غادامير:"نحن نعرف أن ديكارت، رغم جذرية تفكيره المنهجي، استثنى الأخلاق من إعادة البناء الكلية التي يقوم بها العقل لجميع الحقائق. وهذا ما كان يعنيه بأخلاقه المؤقتة". (المترجم).

[31])- Emmanuel Kant, «Réponse à la question : qu'est-ce que les Lumières?», Œuvres philosophiques, tome II, Paris, Gallimard, 1985, p. 209.

داخل مطالبها، لأنها دائما مشروطة بطرق عدة من قبل الأحكام المسبقة بصفة عامة داخل واقع وجودنا التاريخي المحدود[32].

" في الحقيقة، ليس التاريخ هو من ينتمي إلينا، بل نحن من ينتمي إليه. فقبل أن نصل إلى فهم أنفسنا من خلال التفكير في الماضي، لابد أن نفهم أنفسنا بطريقة آلية ضمن الأسرة، والمجتمع، والدولة، حيث نعيش (العائلة، والمجتمع، والدولة). إن مركز الذاتية هو مرآة مشوهة. وذلك هو السبب في أحكام الفرد المسبقة، أكثر بكثير من أحكامه المشكلة لحقيقة وجوده التاريخي"[33].

ج- التقليد والتاريخية:

بعيدا عن تحديد وجودنا التاريخي من خلال أحكامنا المسبقة، وهو احتمال إيجابي لذلك، عندما يتم فهمه في ضوء مفهوم التقليد: فالتقليد هو فضاء للحرية، بالمعنى الذي يتحدث عن حريتنا، هنا وهناك، والذي ينتظر منا الالتزام به، لنستوعبه ونهذبه: " إن التقليد في الأساس حفظ، بمعنى أنه يعمل في أي تحول تاريخي كان، غير أن الحفظ هو نشاط عقلي، رغم أنه فعل غير واضح"[34].

في الواقع، إذا كان التغيير والاضطرابات التاريخية تظهر في أغلب الأحيان تحت الأنظار وتعطي الانطباع أنها في هذا المكان تتحقق الحرية الحقيقية، فالركيزة الأساسية المتبقية، أي ما يتم الحفاظ عليه، فهو غالباً ما يكون أكثر أهمية بكثير مما هو جاهز ولما هو جديد.

فالتقليد يشبه المنطقة الرمادية في عملية الفهم، ينتقل إلى حد ما بطريقة واعية، لذلك نحن لا نتوق إلى أن ننتمي دوما إلى التقليد، وأن نتكيف معه، هكذا قال **أرسطو** Aristote:" لو لم يكن

---

[32])- يقول غادامير:"عقلنا موجود ضمن شروط عينية وتاريخية فقط؛ أي أنه ليس هو المسيطر على نفسه، إنما هو يظل معتمداً دائما على الظروف المحدِّدة التي يشتغل فيها". (المترجم).

[33])- هذا التأكيد الأخير ، إذا كان يجسد تمامًا إصرار غادامير على بنية توقعات المعنى التي تحكم الفهم، يبدو لنا قويًا جدًا، لأنه لا يفسر على الفور حقيقة أن هذا التاريخ الذي ننتمي إليه هو أولاً وقبل كل شيء تاريخ فعل الروح وحرية الإنسان في العالم: لا يعيش الدزاين أولاً في زمن الكائنات، حيث يخضع للحتمية، ولكن في زمن الروح الذي يرفض، إذا كان بحزم وضد كانط، الاستقلال المطلق، مع ذلك يبقى "مكان" الحرية (Vérité et méthode, p. 298).

[34])- Gadamer, Vérité et méthode, p. 303.

تيمودي Timodhée موجوداً لكنا قد ضيعنا الكثير من الألحان mélodies، ولكن بدون **فرينيس** Phrynis ما كان ليوجد **تيمودي** Timodhée[35].

والشيء نفسه ينطبق على أولئك الذين تعاملوا مع الحقيقة. لقد ورثنا بعض الآراء للكثير من الفلاسفة، ولكن الفلاسفة الأخرين كانوا هم السبب في مجيء هؤلاء[36].

إذن، إذا كانت الحيازة الموضوعية للتاريخ هي قصة خيالية، هذا لا يعني على الاطلاق أن الانتماء إلى التقليد هو شيء سلبي بحت، كما يريد نقد الأحكام المسبقة اظهاره داخل فلسفة التنوير، والذي وجد سابقة التأسيس في الصفحة البيضاء الديكارتية tabula rasa، الموضوعية كما هي على هذا الحال، لا تحتاج إلى تضحية، ولكن **غادامير** يجزم أن هذه [الموضوعية]، تكمن في تأكيد توقعاتنا الخاصة للمعنى، والذي هو وظيفة عامل التقليد حتى في البحث التاريخي.

هذا التباين يعتبر مهما جدا: **فغادامير** يريد أن يبين أن موضوعية معينة ممكنة بالفعل، ولكن، فقط، في الانتماء إلى التقليد، أي عكس مشروع **ديلتاي** ونموذج العلوم الدقيقة[37].

وإذا كان الفرد مدركا أنه كائن مشروط، حسب صيغة **ديلتاي**[38]، فعلى وجه التحديد إن التقليد هو الذي يمده بوجوده التاريخي ووعيه في نفس الوقت:" فمن خلال رؤية نفسه في التقليد، يرفع الفرد نفسه على مستوى الروح الموضوعية (...) ولكن هذا يتم على وجه التحديد من خلال موضوعية العقل، مثل الأخلاق، والحق الوضعي والدين، الذي يربط الكائن الخاص بموضوعية المجتمع"[39]. المهمة الثابتة للفهم، بهذه الطريقة، ليس وضع التقليد بعيدا عنا، من أجل تحقيق أهدافنا، بل

---

35)- يقول غادامير: "إن علاقتنا العادية بالماضي لا تتميز بابتعادنا عن التراث، وتحررنا منه؛ بل إننا بالأحرى متموقعون ضمن التراث، وتموقعنا هذا ليس تموقعنا بإزاء موضوع، فنحن لا نتصور التراث شيئا آخر، أو شيئا غريبا عنا. فالتراث دائما جزء منا، كنموذج أو كمثال أو كنوع من الإشارة المميزة التي تفيد أنه من الصعب لحكمنا التأريخي الأخير أن يُعبر نوعاً من المعرفة، بل هو صلة روحية حميمة بالتراث" (المترجم)

36)- Aristote, Métaphysique, tome 1, livre α, 993 b 15, Paris, Vrin, 2000, p. 60.

37)- الهدف الذي كان (دلتاي) يسعى إلى تحقيقه من هذه الثورة، هو فهم الإنسان بوصفه موجودا تاريخيا في حقيقته، وسعيا إلى تحقيق هذه الغاية راح (يدرس العلوم الإنسانية)، أو كما يسميها (علوم الروح) على أسس تاريخية الوجود البشري، بمعنى أن للإنسان بعدا أساسيا هو التاريخ.(المترجم).

38)- Wilhelm Dilthey, Gesammelte Schriften, vol. V, Stuttgart, Teubner, 1957, p. 364, cité par Gadamer dans «Portée et limites de l'œuvre de Wilhelm Dilthey», Le problème de la conscience historique, p. 43.

39)- Gadamer, «Portée et limites de l'œuvre», p. 44.

بالأحرى أن نغتنم الفرصة التي يوفرها لنا التقليد بالاتصال مع الأشياء نفسها، أثناء مواجهة توقعات المعنى الذي قدم إلينا في جزء كبير منه من خلال التقليد نفسه، هذا لا يعني أي شيء، سوى تأكيد التصورات الصحيحة والمناسبة للشيء، وهي مثل التصورات التوقعية التي لا تنتظر تأكيدها فقط من الأشياء ذاتها"[40].

هذا هو السبب "في أن أي تأويل تاريخي يجب عليه أن يبدأ بإلغاء التعارض المجرد بين التقليد وعلم التاريخ (Historie)، بين التاريخ (geschichte) ومعرفة التاريخ. يشكل فعل (Wirkung) التقليد الذي بقي حيا رفقة التحقيق التاريخي، فعلا واحدا، داخل عملية التحليل التي لا يمكن أن نجد فيها إلا نسيجا من الإجراءات المتبادلة"[41].

3)- تاريخية التأويل ومهمة التأويل:

هناك أشياء لا نراقبها، والهرمنيوطيقا هي فلسفتها.

جون قرادان

Jean Grondin [42]

أ- وساطة المعنى:

إلغاء هذا التعارض بين التقليد وعلم التاريخ، لا يعني غياب التوتر بسبب ذلك، غير أن التوتر الحقيقي بين الألفة والغرابة في عملية الفهم التاريخي، هي، كذلك، إمكانية إيجابية للوجود التاريخي: إنها تدعو إلى اليقظة -التامة، لتكون على أهبة الاستعداد في مواجهة العمل التاريخي (*Wirkungsgeschichte*)، الذي ننتمي إليه.

40)- Idem, Vérité et méthode, p. 288.

41)- Ibid., p. 304.

42)- Cours sur l'herméneutique de Gadamer du 25 janvier 2006, à l'Université de Montréal.

فالمسافة الزمنية، المفهومة من خلال الانتماء إلى التقليد، تبين أن التأويلية تجد مكانها الحقيقي في موقع وسط: أي أنها تتصرف بمثابة موقع مشترك، أو أيضا كوسيط (médium)، حيث يلتقي المترجم والمعنى، الذي هو مقصود ومدعو، في الوقت نفسه: فالمعنى المأخوذ من الشيء المعني، يأخذنا إلى اللعبة، ومن يدخل اللعبة، هو أيضًا شارك في اللعبة (لعب joué) – فالمعنى ليس مسألة بناء ولكن مشاركة.

ففي هذا السياق، إذا كانت المسافة الزمنية تُحدِثُ بالفعل فرقاً لا يُمكن التغلب عليه بين المؤلف ومترجمه، فقد رأينا أن عامل التقليد يضمن، من جانبه، وجود مجتمع حيوي معين، وأرضية مشتركة يمكن الاتفاق عليها، من حيث المبدأ، أي الاتفاق على الأشياء نفسها المشار اليها داخل النص.

غير أن الاتفاق على الشيء، لا يعني إذن إعادة إنتاج القصدية الأصلية للمؤلف فقط، كما تريده عقيدة فكر المؤلف (l'esprit de l'auteur).

في الواقع، وتبعا لمبدأ الفهم الأفضل (mieux comprendre)، التفسير هذه المرة حسب نظر التأويلية، يكون من الأفضل الحديث عن انتاج المعنى، وهي مجرد طريقة للقول بأن "معنى النص، قد تجاوز مؤلفه، ليس أحيانا فقط، ولكن دائما"[43]. الفهم الأفضل، يجرد الجمالية العبقرية من جذورها[44]. فتصبح عندئذ فهما جديدا آخر، أكثر من مجرد تعبير بسيط عن الحياة، ثم رفع المطالبة بالحقيقة.

ولهذا السبب، إنه من الضروري الحديث عن الإنتاجية التأويلية للمسافة الزمنية، أو حتى عن عمل التاريخ. "بعد الآن، لم يعد الزمن في الأساس هو تلك الفجوة التي يجب عبورها، لأنه يفصل بينها المسافات، فهو في الحقيقة الأساس الذي يحمل الحدث [الحدث التاريخي] الذي يمدد الحاضر جذوره"[45]. لذلك ليس هذا هو الغريب بالنسبة لنا، في الشيء الذي يجب أن نعرفه، ويقودنا إلى الفهم، ولكن ما هو مشترك بيننا في الغرابة.

فكل تفسير يقبع في عمل التاريخ، فهو يخضع لتأثيراته، ولكن أن نفهم، هذا لا يعني أولا التغلب أو السيطرة على تأثيرات عمل التاريخ، فليس بالنتيجة، هو شيء يتم نقله ضمن أفق بعيد عن طريق

43)- Gadamer, Vérité et méthode, p. 318.
44)- Cf. Ibid., 1ère partie.
45)- Ibid., p. 319.

حاجز الزمن. على الأصح، هذا يعني استيعاب الحاضر للماضي ودمج أفقه مع أفقنا الذي نفهمه في الحاضر، والأفق المتوقع يظل دائما بمثابة الاسقاط الذي يقدم عرضا عن الاختلاف المُدرك في عملية الفهم.

غير أن الذي ينفتح على أفق آخر يتحول فيه، ويشارك فيه، ويهتم به، فإنه يتجاوز مجال فهمه من أجل توسيع نطاق حدوده؛ فاكتساب أفق ما، يعني إذن الارتقاء إلى عالمية حقيقية أعلى[46].

> [...] المطلب، الذي هو شرط التأويل، للتفكير في الواقع التاريخي بشكل صحيح، يأتينا مما أسميه، مبدأ الإنتاجية التاريخية. فالفهم يعني القيام بعملية وساطة بين الحاضر والماضي، أي التطوير الذاتي لكل سلسلة تربط الآفاق، والتي يقدم فيها الماضي نفسه ويخاطبنا. في هذا المعنى الجذري والعالمي، فإن الأخذ بالوعي التاريخي، ليس هو التخلي عن المهمة الأبدية للفلسفة، بل هو الطريقة التي أعطيت لنا من أجل الولوج إلى الحقيقة التي نبحث عنها دائما. كذلك أرى في علاقة كل فهم باللغة هي الطريقة التي يزدهر بها وعي الإنتاجية التاريخية[47].

ب- تعليق صلاحية الأحكام المسبقة عند الاتصال بالشيء:

لهذا السبب فإن فهمنا التاريخي هو عرضة لزيادة غير محددة في المعنى – وبالتالي أن يكون: أفق الحاضر في تشكل دائم. فالمسافة الزمنية هي بمثابة المصفاة التي تسمح في كثير من الأحيان بالتمييز بين الصواب والخطأ في الأحكام المسبقة، وقيمة الأحكام التاريخية ودلالة التقليد في مجملها[48]. فإذا كان الوعي التاريخي المكتسب نهائيا، يضعنا أكيد في تحدي، ومعه عبء حقيقي،

---

[46])- حقيقة تأهيل مصطلح "العالمية" يظهر بوضوح، من وجهة نظرنا، العلاقة بين المحدود واللانهائي، بين الخاص والعام في فهم غادامير، أحد روافد أفلاطون: روح هيجل المطلقة هي خيال في محدودية الوجود التاريخي، ولكن الروح المحدودة مع ذلك، تتخلى عن رفع نفسها نحو المطلق، "نحو النقي، الموجود دائمًا، غير الفاسد، الذي هو دائمًا هو نفسه"

Cf. Ibid., p. 327 (Platon, «Phédon ou De l'âme», Op. cit., tome I, p. 79.)

[47])- Gadamer., Le problème de la conscience historique, p. 91.

[48])- بالطبع، يمكن للمسافة أيضًا أن تغطي معنى الأشياء، ولهذا السبب غالبًا ما يدعو غادامير إلى اليقظة في مواجهة عمل التاريخ. كما أدرك (في عام 1986!) أن المسافة الزمنية وحدها لا تؤثر في تقسيم التحيزات الصحيحة والكاذبة.

(Cf. note 228, p. 320 de Vérité et méthode).

من خلال افتراض البعد الإيجابي المكتسب حديثًا عند غادامير، فإن مفهوم "المسافة الزمنية" يكتسب بعد ذلك صفة ما تم اختباره تاريخيًا، ولم يعد يعاد تأويله بشكل منهجي (كما كان الحال في التأويل التقليدي) من قبل العقل. لكن من يقول الروح يقول الحرية،

فهو حاليا لا ينفصل عن الوضعية التأويلية المناسبة. هذا ما يجب أن تحدده الأشياء نفسها التي تعيش معه في مجتمعات معينة، من خلال شهادات وآثار الماضي التي تثبت ذلك.

فإذا تم إعادة تأهيل الأحكام المسبقة كعناصر إيجابية للفهم، هذا لا يعني إذن أن الوعي التاريخي ليس لديه أي سلطة عليهم، أو يجب عليه أن يترك لهم الحرية. في الواقع، لا يسمح لنفسه بأن تحدده الأشياء نفسها، يعني القول شيئا كعرض الأحكام المسبقة كما هي، وهو أمر ممكن فقط بقدر ما يكون لهم دور فعال في بنية الفهم من خلال قياس أنفسهم مقابل الأشياء نفسها.

فالحكم المسبق المعروض عند الاتصال بالشيء يعني، إذن، أن نعلق مشروعيته وأن هناك تقدم ممكن في الفهم، كما هو الحال في الدوائر متحدة المركز، وهذا بطريقة لا محدودة. نذكر أن الفهم الصحيح لا يبحث عن الخروج من الدائرة للوصول إلى الكمال، ولكن أن البنية الدائرية للفهم، هي ذاتها إمكانية إيجابية تخلق بطريقة ما التلاحم بين المترجم ونصه، إن الوضعية التأويلية المناسبة للفهم الصحيح وبطريقة ما مسؤولة: " فالفهم الذي يتم اجراؤه بوعي منهجي يجب أن ينطبق على نفسه، ليس لتحقيق توقعاته، بل لجعلها ذاتها واعية من أجل مراقبتها والكسب بهذه الطريقة فهما صحيحا من خلال الأشياء"[49].

ج- الاستفسار عن الشيء: السؤال كوسيط كوني.

إذا كان عرض الحكم المسبق، يعني تعليق صلاحيته، فتعليق الصلاحية له هيكل السؤال، وهو المعيار التأويلي الذي يتكشف مباشرة عن هذه الاعتبارات. إنه السؤال، في اتصال بالأشياء، يسمح بإثبات الأحكام المسبقة وضمان موضوعه العلمي: " فجوهر السؤال هو فتح الاحتمالات والإبقاء عليها مفتوحة"[50].

لقد بينا التوتر بين المألوف والغرابة، فيما يتعلق بالأحكام المسبقة عامة وعامل التقليد، نرى الآن إقامة نوع من الدياليكتيك بين القديم والجديد، الجدلية التي سؤالها الوساطة الكونية[51].

كما قلنا، ولهذا السبب فإن الوعي بتاريخية الفهم يكون مصحوبًا بالمهمة المقابلة وهي المراقبة المستمرة لعمل التاريخ (نود أن نضيف: مواجهة عمل العقل في التاريخ).

[49])- Gadamer, «Du cercle de la compréhension», La philosophie herméneutique, trad. J. Grondin, Paris, PUF, 1996, p. 78.

[50])- Gadamer, «Du cercle de la compréhension», La philosophie herméneutique, p. 83.

[51])- Cf. Idem, Le problème de la conscience historique, p. 89.

غير أنه، دائما نشير إلى الشيء – ليس إلى المثيل (موضوع تاريخي) وهو وهم تاريخي – الذي يتعلق بالمعنى المحوَّل من خلال المسافة الزمنية التي يستقر فيها الموضوع ويصبح تأويليا خالصا: " مهمة الهرمنيوطيقا تصبح نفسها الاستجواب الذي يتعلق الشيء، ويحدد دائماً من قبلها، وهكذا يكتسب مشروع التأويلية قاعدة صلبة"[52]. كذلك هي تأويلية **غادامير** تتميز بحالة من اليقظة المستمرة لعمل التاريخ: كنا نجرء على القول بأن **هايدغر** يحتاج إلى تحصيل الوعي الذي يواجه بحزم نهايته من أجل البحث عن الحقيقة التي يتجاوزها. لذلك نحن إذن مدعوون إلى موقف من التواضع، لأن الحقيقة دائما تتجاوزنا، وأن الجهل السقراطي هو أفضل علاج لإرادة القوة.

4-خاتمة: الإرادة الحرة.

هل الحقيقة تقبع في المسافة، سواء فيما يتعلق بموضوع التاريخ أو التقليد؟ إن الرهان الفينومينولوجي لكتاب "الحقيقة والمنهج" هو تحديدا تسليط الضوء على مفهوم الحقيقة التي لا تنصف التصميم السائد للمنهج، حقيقة متحررة من القيود الوجودية لمفاهيم الموضوعية، ومحو الذات الخاصة بالعلم. فتجربة الحقيقة، حسب **غادامير**، هي بالضبط، تجربة، يعني ما يحدث في عملية الفهم الذي يندمج فيه التفسير نفسه.

فالفهم يتضح من خلال ظاهرة الدائرة التأويلية، ولا يتكشف في المسافة، ولكن بالأحرى ضمن الوحدة بين المترجم ونصه، "وحدة داخلية لكامل الحركة"[53].

الحقيقة التي لا تكون موضوعية بالمعنى العلمي، هل ستكون ذاتية بالضرورة؟ في عملية التفسير، المضمون هو الذي مستهدف أولا، والذاتية ما هي إلا ثانوية؛ هناك اتفاق معين حول المضمون، هو أساس كل فهم ويحمل حدث الفهم نفسه:" فالفهم ينظر إليه فعلا ذاتيا بصورة أقلّ مما هو مشاركة في حدث التقليد؛ حدث هو بمثابة عملية نقل يُتوسط فيها الماضي والحاضر على

[52]- Idem, La philosophie herméneutique, p. 77.

[53]- Idem, Le problème de la conscience historique, p. 18.

الدوام. وهذا ما يجب توضيحه في النظرية التأويلية، التي تهيمن عليها كثيرًا أفكار الإجراء والمنهجية [54].

في النهاية، هل تخضع نظرية الفهم التاريخية الجذرية للنسبية؟ هناك عند **غادامير** مكان للحقيقة فوق–تاريخية معيارية[55] – وإنه علاوة على ذلك، فمشروع **[غادامير]** الحقيقة والمنهج بكامله هو ما يظهره، خاصة ردا على التاريخية – ولكن، الذي يجب أن نؤكد عليه، أنها ليست كذلك، أقل اعتمادا على عمل التاريخ وتاريخية الفهم.

فرهان **غادامير**، هو تأكيد حقيقة تخضع لشروط الانسان المعرفية دون السقوط في فخ النسبية (الذي يفعله علاوة على ذلك، فهو نفسه حالات قليلة) ولكن أيضا دون الاعتماد على نموذج مطلق الحقيقة، أو كذلك على حقائق مطلقة. هل نجح؟ بالنسبة **لهابرماس، أوتو آبل، رورتي، أو فتيمو**، فإن **غادامير** هو في الواقع نسبي.

بخصوص ما يهمنا، وإذا كان يريد فقط التذكير أن المطلق لا يقال إلا بطريقة تاريخية جذرية، إذن لا يمكن فهمها إلا من خلال منظور معين غير شامل. (نحن بشر، بعد كل شيء، ولسنا آلهة) كيف لا يذعن للأمر؟ بيد أنه، إذا كان الأمر يتعلق بإظهار حقيقة تاريخية والتي لا تعتمد على قاعدة مطلقة أو بحقيقة أبدية (الحسن، والحقيقي، والجميل)، إذن الحقيقة نسبية من جانب إلى آخر، لسنا مقتنعين. ولكن الحسن، والحقيقي، والجميل، أليس هذا هو بيت القصيد من كتاب الحقيقة والمنهج[56]؟ .

---

[54])- Idem, Vérité et méthode, p. 312.

[55])- Cf., notamment, «L'exemple du classique», Vérité et méthode, p. 306 ss., que nous n'avons pas pu aborder faute d'espace.

[56])- نحن، بالطبع، نشير هنا إلى عقيدة المتعاليين في العصور الوسطى. فمن المهم بالنسبة لعمل غادامير [الحقيقة والمنهج] أن العالم اللاهوتي Hans Urs von Balthasar هانس أورس فون بالتازار (1905–1988) أسس الجمال على أنه متعالي، في حين أنه كان تقليديًا (في السكولائتية) ويندرج تحت اسم الخير. نسمي هنا المتعاليين وفقًا Balthasar لبلتازار، الذي يميز فقط ثلاثة أعمدة قابلة للتحويل مع الكائنات (الوجود).

(cf. Vincent Carraud, «La gloire et la croix et l'histoire de la métaphysique», Communio, t. XXX, n. 2, 2005).

في النهاية، إذا كان من الصعب حل مسألة النسبية في أعمال غادامير، فإننا من ناحية أخرى متعاطفون مع فكرة "ميتافيزيقيا التحديد" المستوحاة من أفلاطون (ضد هايدغر الذي رأى في أفلاطون " بداية النهاية ")، كما أكدنا أعلاه (راجع أعلاه، الهامش 43)، والتي ليست غريبة على عقيدة المتعاليين.

5-قائمة المصادر

- Gadamer, H.-G. (1996). *Vérité et méthode* (1996 ط). Paris,: Seuil.
- Schleiermacher, F. D. E. . (1987). *Herméneutique*. Paris, : Cerf, .
- Heidegger, M. . (1985). *Être et temps, trad. E. Martineau*. Paris, : Paris, Authentica, .
- Dilthey, W. (1996). *Le problème de la conscience historique*. Paris, : , Seuil, .
- Augustin,, saint. (1997). *«La doctrine chrétienne», Œuvres de saint Augustin, v. 11.2, Paris, Institut d'Études augustiniennes*. , Paris, ,: , Paris, Institut d'Études augustiniennes, 1997,.
- Platon, P. (1987). *«Phèdre ou De la Beauté», Œuvres complètes, tome II, trad. L. Robin,*. Paris, Cerf, 1987: Paris, Cerf, 1987.
- Jean , , G. (1993). *, L'universalité de l'herméneutique,*. Paris,,: Paris, PUF,

- cf. Jean Grondin, Introduction à Hans-Georg Gadamer, Paris, Cerf, 1999, pp. 218-224. Phares 251

[56])- المقال منشور بـ